

مجلة
منتدى العلوم

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن المنتدى الليبي للثقافة والحوار

العدد العاشر السنة الخامسة
ديسمبر 2020م

Journal of Science Forum

A refereed journal published by Libyan Forum for Culture and Dialogue
two times a year

Volume v issue x recembre 2020

أومبيرتوبونيانينو؛ ترجمة عبد الله علي الرحيبي

القصر الفاطمي في أجدابية: معطيات جديدة ووجهات نظر



القصر الفاطمي في أجدابية: معطيات جديدة ووجهات نظر[1]

أومبيرتوبونيانينو، جامعة أوكسفورد،
ترجمة: عبد الله علي الرحيبي، جامعة بنغازي.

ملخص:

تعد هذه الدراسة إعادة نظر في المبنى الفخم الوحيد الذي كشف عنه على نحو كامل، وهو فاطمي البناء (909–1171): إنه قصر أجدابية في قورينائية (ليبيا الحديثة)[2]. ويعد هذا المبنى الذي أجرى به عبد الحميد عبد السيد حفائر في الستينات من القرن الماضي، وديفد وايت هاوس في بداية السبعينات من القرن نفسه مثالا جيدًا على الكيفية التي استطاع بها موقع إقليمي صغير تجاهله الدارسون أن يقدم – برغم ذلك – معلومات قيمة عن عمارة أنجزت تحترعاية "ملكية" ارتبطت فيها المعطيات الأثرية بتفحص دقيق للمصادر الأولية وإعادة تقويم لصروح ولقى أثرية محلية أخرى مهملة على حد سواء. إن الهدف من هذه المقالة ليس عرض بيانات أثرية جديدة، ولكن تحديث المادة التي نشرت منذ أربعين سنة مضت وذلك في ضوء دراسات حديثة أجريت على عدد من المواضيع ذات الصلة – بما في ذلك طبعات جديدة لمصادر أولية – في الوقت الذي ننتظر فيه نشر تقرير الحفائر النهائي لوايت هاوس.

مقدمة:

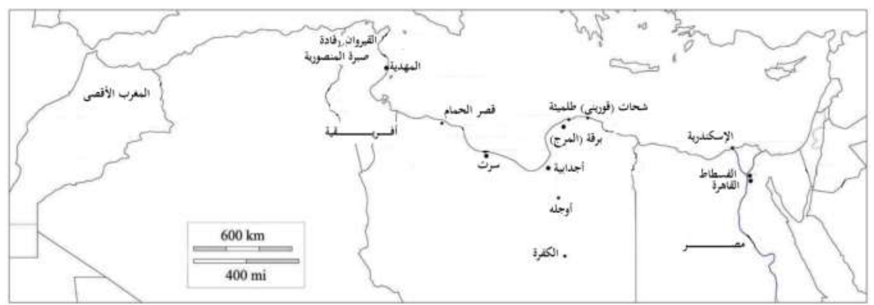
تعد هذه الدراسة إعادة نظر في البناء الفخم الوحيد الذي كشف عنه كشفًا كاملا، وهو من بناء الفاطميين – وهم شيعة من الخلفاء الأئمة وصلوا إلى السلطة في بداية القرن العاشر الميلادي (برت Britt 2001؛ هالم Halm 1996؛ الدشراوي 1981) ونقلوا عاصمتهم – بعد السيطرة على مصر سنة 969/358 – إلى المدينة الجديدة، القاهرة،التي تواصل حكمهم منها إلى سنة 1171/566.

إن الأسباب التاريخية وراء تلاشي آثار العمارة الفخمة الفاطمية كلها تقريبًا – من المهدية، وصبرة المنصورية (تونس)، إلى القصور العظيمة في القاهرة، مقارنة بعدد مهم من الأعمال الفنية الباقية "الفخمة" وهي عديدة ومعقدة، وتم التعرض لها في دراسات أخرى (بلوم Bloom 2007، 65 وما بعدها؛ وكريسير والرماح Cressier and Rammah 2006، 613– 614؛ وباروكاندBarrucand 1998؛ وبلوم 1985؛ وانظر أيضًا روسر– أوين Rosser-Owen

[1]نشرت هذه الدراسة في: .Journal of Islamic Archaeology, 2.2, 2015, pp. 171-193.
[2]أرى أن الصياغة المناسبة تكون على النحو الآتي: إنه قصر مدينة أجدابية التي تقع في الجزء الشرقي من ليبيا اليوم. المترجم.

2009). وما يزال البحث في مجال الآثار وتاريخ الفن غير كاف لإعادة بناء صورة مقنعة عن النماذج، وعن التطور، وعن وظيفة العمارة الفاطمية الدنيوية؛ ومن الممكن – من ناحية ثانية – القيام بمحاولة الوصول إلى فهم أفضل للدليل المادي الضئيل الذي في حوزتنا وذلك في إطار التاريخ والعقيدة الفاطمية.

وتعد أجدابية – في ليبيا اليوم – هي المثال الجيد على الكيفية التي استطاع بها موقع إقليمي صغير – أهمله الدارسون بصفة عامة –توفير معلومات قيمة للغاية عن الرعاية والأنشطة العمارية الفاطمية، وارتبطت فيه المعطيات الأثرية بفحص دقيق للمصادر الأولية وإعادة تقويم لصروح ولقى محلية أخرى مهملة هي الأخرى. ويركز ما سيأتي ذكره على الدلالة المحلية لهذه المواقع بدلا من عدها نتاجالعمارة الفاطمية "الرسمية"، وهو مفهوم مجرد للغاية بحيث لا يكون مفيداً فيدراسة الحالة هذه.



الشكل 1- خريطة شمال أفريقية مبين عليها المدن والمواقع المذكورة في النص.

يتألف موقع أجدابية الأثري الإسلامي – في الوقت الحاضر – من بقايا مسجد جامع يعود إلى القرن العاشر الميلادي، وقصر معاصر يبعد عنه بكيلومتر واحد نقب عليه عبد الحميد عبد السيد في الستينات من القرن الماضي، وديف دوايت هاوس في بداية السبعينات من القرن نفسه (عبد السيد **1964**؛ بليك، وهت، ووايت هاوس 1970-1971؛ 1971؛ ووايت هاوس 1971-1972؛ 1972-1973؛ ودونالدسن 1075-1976، انظر أيضًا ليزينLezine 1971؛ وكينركKenrick **2013**، **21–25**؛ وانظر – بخصوص الفخار الإسلامي –رايلي Riley 1982). وتعد تقاريرهم المختصرة هي المادة الوحيدة المنشورة على أجدابية، والشكر موصول لجهود جمعية الدراسات الليبية، الوصية على أرشيف وايت هاوس، ومن المتوقع نشر التقرير النهائي في وقت ما في المستقبل القريب، وسيتبع هذا الإنجاز المهم النشر النهائي عن مستوطنة سرت

الفاطمية المشابهة (فهرفاري، وآخرون 2002؛ انظر أيضًا قود تشايلد 1964؛ ومصطفى 1966–1967؛ وعبد السيد 1966–1967)، ونأمل أن يشجع هذا العمل على القيام بعمل جديد في مدينة القرون الوسطى، برقة التي تقع بين أجدابيةوقوريني (وهي مدينة المرج الحالية)، رغم أن الوضع الحالي في ليبيا يعيق القيام بحفائر الآن ولسنوات قادمة. كذلك أنهت الأزمة الليبية التي بدأت سنة 2011 موسم ثان من الحفائر في سرت القديمة أجرته بعثة فرنسية تحت إشراف جينن– ميتشل موتونJean-Michel Mouton (انظر موتون Mouton 2008؛ وقويلوت وآخرون 2010 Guilhot et al؛ وقناة Gnat، وقويلوتGuilhot، وموتونMouton 2012).

تقدم لنا هذه المواقع الليبية معلومات جديدة تدحض بعض النظريات التحزرية التي تشكلت عن العمارة الفاطمية في القرن الأخير،فقد جعلت مئذنة مسجد أجدابية المثمنة الشك يحوم حول حدسيات جونثان بلوم عن الكراهية الفاطمية لأبراج المسجد (بلوم 2013، 138–142)، في حين دعمت الدليل الأثري الموجود عن بناء مشابه في مسجد سرت الجامع (عبد السيد 1966–1967، 158)[3]. كذلك يلقى فهم سليم لقصر أجدابية المحصن الغامض الضوء على المشروع البنائي الذي أنجزه الخليفة المعز لدين الله (953/342 – 975/365) في السنوات التي سبقت الغزو الفاطمي لمصر، متحدية في الوقت نفسه الانقسام التقليدي بين العمارة الإقليمية، والعمارة الملكية في العصر الفاطمي المبكر.

والشكر موصول إلى جمعية الدراسات الليبية على تمكينها لي من الوصول إلى أرشيف ديفدوايت هاوس وتحصلي على معرفة عميقة عن مواسم حفائره الأربعة في أجدابية من خلال خرائط لم تنشر بعد، وصور، ويوميات مكتوبة بخط اليد. ومن ناحية ثانية فإن الهدف من هذه المقالة ليس تقديم معطيات أثرية جديدة، ولكن لإعادة الاطلاع على المكتشفات الأثرية التي نشرت منذ أربعين سنة مضت في ضوء الدراسات الحديثة حول عدد من المواضيع ذات الصلة – بما في ذلك طبعات جديدة لمصادر أولية – في الوقت الذي ننتظر فيه نشر تقرير وايت هاوس النهائي عن

---

[3]تقول نظرية بلوم إن مئذنة أجدابية التي يزدان بها المسجد الذي بناه القائم [بأمر الله] (الخليفة الفاطمي الثاني 934/322- 946/334) "لابد أنها تنتمي إلى بناء مميز آخر، بما أن لها اتجاه مستقل ولم تكن مدمكة مع الجدران". ومن ناحية ثانية، كما سنرى، فإن حملة البناء المتميزة هذه تمت على يد المعز، الخليفة الفاطمي الرابع، ليس أكثر من خمسين سنة بعد ذلك. وكانت القاعدة المثمنة للمئذنة ما تزال قائمة في الثلاثينات من القرن الماضي (نشر فيري صورة لها في العام 1925-1926)، وربما دمرت أثناء الحرب العالمية الثانية.

الحفائر. وأنا ممتن للغاية للسيدة إزابيلا ويلسبيس جوسترم – محررة مجلة الجمعية – التي لم يكن في الإمكان إنجاز بحثي من دون مساعدتها.

الدليل الأثري:

البناء المنقب فيه:

إن قصر أجدابية المحصن المدمر هو بناء مستطيل منعزل طوله 33.50 م وعرضه 25.50 م، له مدخل واحد في واجهته الشمالية الشرقية (الشكل 2). وعلم كل ركن من أركان جدرانه الخارجية التي تبلغ ثخانتها أكثر من متر ببرج مستدير يبلغ قطره خمسة أمتار، فضلا على بروز مستطيل في شكل برج يشبه معقل في كل جانب من الجانبين الطوليين، ومدخل تذكاري يحدد الواجهة الشمالية الشرقية، وجزء خلفي من حجرة تبرز نهايتها المنحنية من الجدار الجنوبي الغربي. ويوجد في مركز البناء فناء يشغل منطقة مساحتها 19 x 14.50 م، مرصوفبصفائح من الحجر الجيري. وهناك حجرات شبيهة بقاعات (بيوت) تمتد على الجانبين الطوليين من البناء، في حين شغلت النهايتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية على التوالي بمدخل منكسر واسع، وردهة مستعرضة تقود [عبر الفناء] إلى ثلاث حجرات لا يتصل ببعضها بعض، والحجرة المركزية هي الحجرة ذات النهاية المنحنية، وهي تمثل النقطة المحورية في البناء كله.

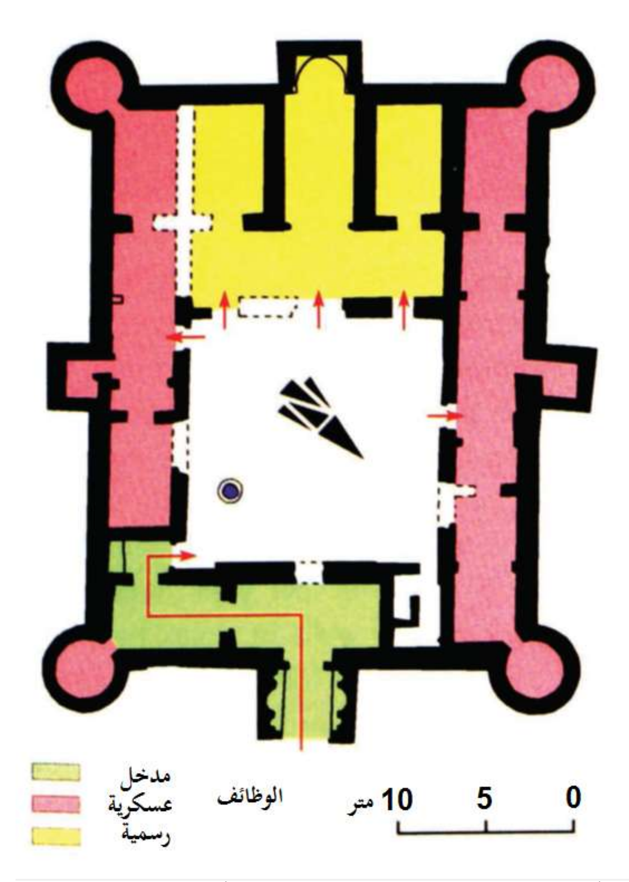
بني القصر كلية بكتل من الحجر الجيري المثبت بمونة جيرية عكس مسجد أجدابية الذي بني جزئيًا باللبن (بليك، وهت، ووايت هاوس 1971، 108)، وبصفة عامة فإن مستوى البناء رائع: حجارة البناء متناسقة، والتفاصيل رغم بساطتها فهي منفذة بعناية، وبنيت الأبراج الركنية المتناقصة حاليًا بدرجة فضيعة على نحو دقيق، ونحتت كل حجرة من حجارة بنائها على نحو متناسب مع انحناءتها، وتعد حجارة البرجين المستطيلين[4]الجانبيين استثناء فقد جمعت وصففت على نحو فقير، وفسر وايت هاوس ذلك بأنه علامة على الاستعجال في تكملة البناء، "الجودة ضحية الاستعجال" (وايت هاوس 1971–1972، 19).

[4]يقول الكاتب إنهما مربعان، وهو نفسه قبل عدة أسطر يقول أنهما مستطيلان، وهما مستطيلين كما ورد لدى عبد السيد الذي تولى الكشف عن القصر. الرحيبي، عبد الله: دراسات في آثار ليبيا الإسلامية، جامعة قاريونس، 2009، ص. 55.

Abduassaid. A., Early Islamic Monuments at Ajdabiyah, Libya Antiqua, I, 1964 , p. 117.

زين الجزء الداخلي من المدخل (أو البوابة) بثلاث حنايا مستديرة الشكل في كل جانب، الوسطى أوسع وأعمق من الجانبيتين. وكان هذا الممر يقود إلى ردهة، وعلى الزوار– قبل الوصول إلى الفناء – القيام بثلاثة انعطافات قائمة الزاوية والمرور عبر حجرتين أخريين ما يشكل مدخلاً منكسرًا متقن التخطيط.

وتقع آثار القصر الأكثر بروزًا في نهايته الجنوبية الغربية بعد الفناء، يمكن وصفها بأنها إما ثلاث حجرات متوازية يتم الدخول إليها عبر قاعة مستعرضة، أو حجرة لها شكل حرف T في وضع مقلوب، وحجرة صغيرة في كلا جانبيها. والجزء المركزي (أي ساق حرف T) هو حيز مهيب، كان مغطى في الأصل بقبو برميلي، به أربعة أعمدة مندمجة في أركانه، ونصف قبة في نهايته الداخلية مدعمة بحنيتين ركنيتين في شكل صدفة بحرية (الشكل 3). وتتألف الأعمدة الأربعة من أبدان مستديرة الشكل تعلوها تيجان مشطوفة؛ أعلاها وسائد مسطحة تدعم كتل ارتكاز كانت في الأصل مزخرفة بحزام ضيق من لفائف جصية (الشكل 4). وعلى الرغم من مظهر الحجرة المنفر من الخارج، فإن التأثير الكلي في الجزء الداخلي منها أنيق ومتقن الإنجاز. ويحتوي الفناء المستطيل الشكل أمام الوحدة الثلاثية " الوحدة الملكية" على بئر، ولم يعثر على أي أثر لصهريج.



الشكل 2- قصر أجدابية المحصن: تصور للمخطط الأصلي مبين عليه الوحدات الوظيفية (عن كينرك 2013).

من غير الواضح ما إذا كان للبناء طابق علوي: ويرجح أن درج نحت في ثخانة الجدار الشمالي كان يستعمل للوصول إلى طابق علوي، أو الأرجح إلى سقف مسطح. ويشير رسم دقيق للقصر أعده جين ريمون باشو سنة 1824م (الشكل 5) وكذلك رواية رحالة القرن التاسع عشر فروند G. A. Freund إلى احتواء الأبراج الأربعة المستديرة في أركان البناء على حجرات مغطاة بقباب عند مستوى الأرض[5]؛ ومن ناحية ثانية تستمر حجارة البناء في الارتفاع ويحتمل أنها كانت

[5] At the ground level! ومن الواضح أن هذا لا يستقيم، ولعله يقصد عند مستوى سطح القصر، بمعنى انتهاء كل برج في شكل حجرة مغطاة بقبة. المترجم.

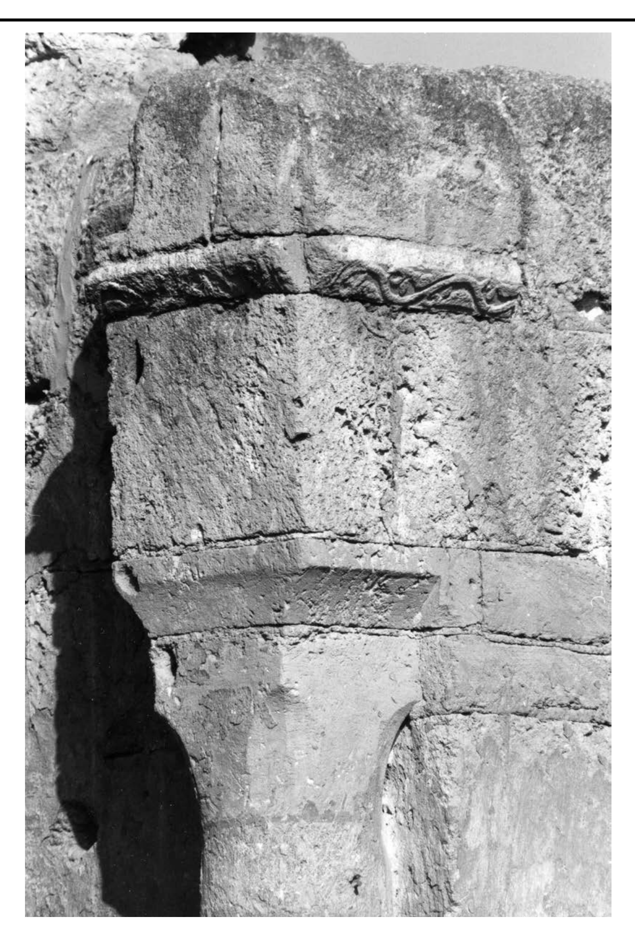
تحتفظ بمصطبة قتال التي – وفقًا لوايت هاوس – كانت على الأرجح مزينة بمتراس تعلوه شُرف مدرجة (بليك، وهت، ووايت هاوس 1971، 109؛ باشو 1827–1828، 268–169، 110).ويوحي رسم باشو – على ما يبدو – بأن القبة البارزة للحجرة المحورية كانت لا ترى في الأصل من الخارج، تخفيها طبقة مستطيلة من حجارة بناء إضافية. ومن الصعب إعداد تصور لشكل الجزء العلوي من البناء بصفة خاصة طالما لا يتجاوز ارتفاع المساقط الموجودة متر واحد أعلى سطح الأرض، باستثناء الحجرة المحورية.



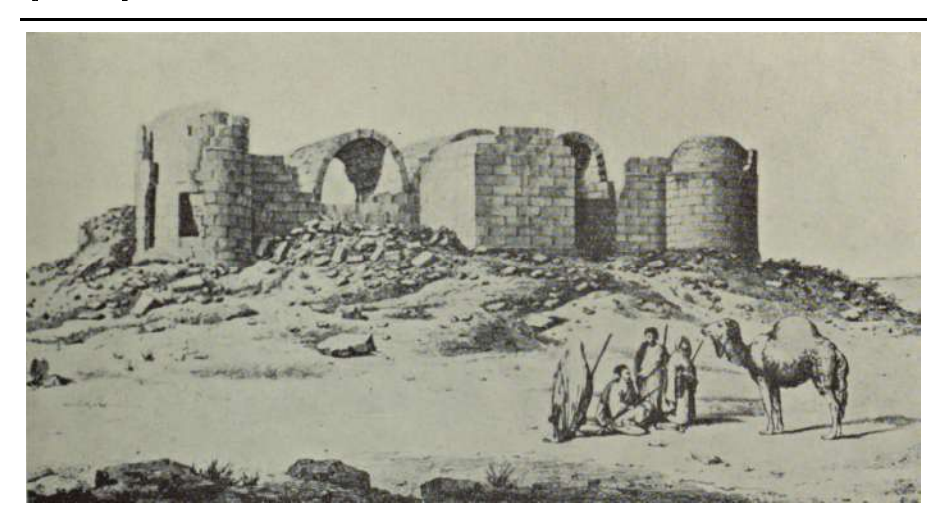


الشكل 3- الحجرة المحورية في "الوحدة الملكية." التقطت الصورة العلوية قبل انهيار القبو البرميلي، والسفلية بعد انهياره في بداية الخمسينات من القرن الماضي[6] (عن فيري 1925، وبليك، وهت، ووايت هاوس 1971).

[6]انهار قبو هذه الحجرة وفقًا لعبد الحميد عبد السيد سنة 1947 وليس كما ورد لدى الكاتب. (عبد السيد 1964، 117؛ الترجمة العربية، الرحيبي 2009، 54). المترجم.



الشكل 4- تاج، ووسادة / كتلة ارتكاز impost، وعمل جصي مزخرف يتوج العمود المندمج الأيمن عند مدخل الحجرة المحورية (عن بليك، وهت، ووايت هاوس 1971).



الشكل 5- رسم جين ريموند باشو التخطيطي للقصر المحصن سنة 1824م (عن باشو 1827-1829).

الزخرفة الأصلية:

وصف الرحالة الإنجليزي جيمس هاملتون الذي زار موقع أجدابية المهجور سنة **1852**م القصر بأنه:

"قلعة ذات عمارة ممتازة لا يمكن أن يكون تاريخها متأخر عن القرن الثالث الهجري [sic]. إنها بناء مستطيل ينتهي بثلاث حجرات قبوية الشكل، نهاية المركزية منها في شكل حنية مثمنة الشكل، ما يزال الجص باقيًا عليها. وهناك على جانبي هذه النهاية برجان مستديران مغطى كل منهما بقبة، ويتخلل جوانبهما مزاغل لرمي السهام؛ إلا أنني لم أتمكن من اكتشاف زخرفة أو نقوش لا في الداخل ولا في الخارج، لا في الأعلى ولا في الأسفل." (هاملتون Hamilton، 1856، 174).

في الوقت الذي يتأكد فيه فعلا أن الحفائر في القصر لم تسفر عن كمية الجص المزخرف، والنقوش المتشظية نفسها التي وجدت في مسجد أجدابية، يمكن الآن – مع الاحترام للسيد جيمس – القول أن القصر المحصن كان مزينًا بالفعل بجص منحوت ومشكل، وربما كان مزدانًا بحزام منقوش، وتقدم هذه العناصر مفاتيح مهمة لتأريخ البناء.

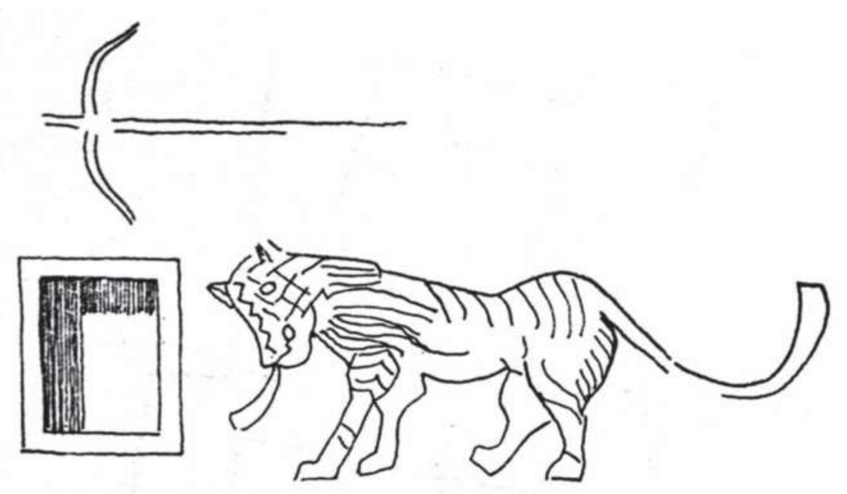
تم تصوير أجزاء عديدة من نحت بارز يعود لأجدابية القرون الوسطى وذلك في الثلاثينات من القرن الماضي، أثناء الاحتلال الإيطالي لليبيا، إلا أنه– مع الأسف – لم يتم تسجيل أماكن وجودها، ولكن يشير أسلوب تنفيذها، وموضوعها إلى أنها تنتمي إلى القصر، وليس إلى المسجد، يعرض أحدها أسد ماش، منفذ بطريقة فجة تحت حزام جصي يحتوي على مراوح نخلية قلبية الشكل (الشكل **6**). ويبدو أن هذه الزخرفة مناسبة بصفة خاصة لقصر محصن، فهي تنقل فكرة السلطة والنفوذ للزوار. وهناك نحت بارز مشابه، أرجعه بعض الدارسين إلى العهد الفاطمي، أعيد توظيفه في تحصينات مدينة المهدية [تونس] التي تعود إلى القرن السادس عشر الميلادي وما يزال يشاهد في مكانه الأصلي (الشكل **7**). ومن المهم جدًا أن نموذج المروحة النخلية الذي يعلو رأس أسداجابية مماثل لعمل جصي مشكل وجد في مسجد سرت الفاطمي، وأعيد استخدامه على نحو فج في محرابه بعد تدهور أحوال البناء (الشكل **8**) (عبد السيد **1966–1967**، **158**، لوحة **46** ب، **47** أ؛ هت **Hutt**، **1977**، **62**). ولسوء الحظ فقد هذا النحت البارز [للأسد] أثناء الحرب العالمية الثانية، وإذا كان ما يزال باقيًا، فهو ربما يقبع منسيًا في مخازن متحف ما روماني أو ليبي.

وتظهر الزخرفة الجصية الباقية في الحجرة المحورية، المؤلفة من حزام ضيق من لفائف نباتية (الشكل **4**) تشابه صارخ مع جص عثر عليه في مسجد أجدابية (الشكل **9**). وتذكر الحنيتان



الشكل 6- نحت بارز جصي أكتشف بجوار القصر المحصن في الثلاثينات من القرن الماضي، مفقود حاليًا (عن عبد السيد 1964).





الشكل 7- نحت بارز لأسد مقحم في تحصينات المهدية، يرجح أنه من العهد الفاطمي (عن ليزين 1965).

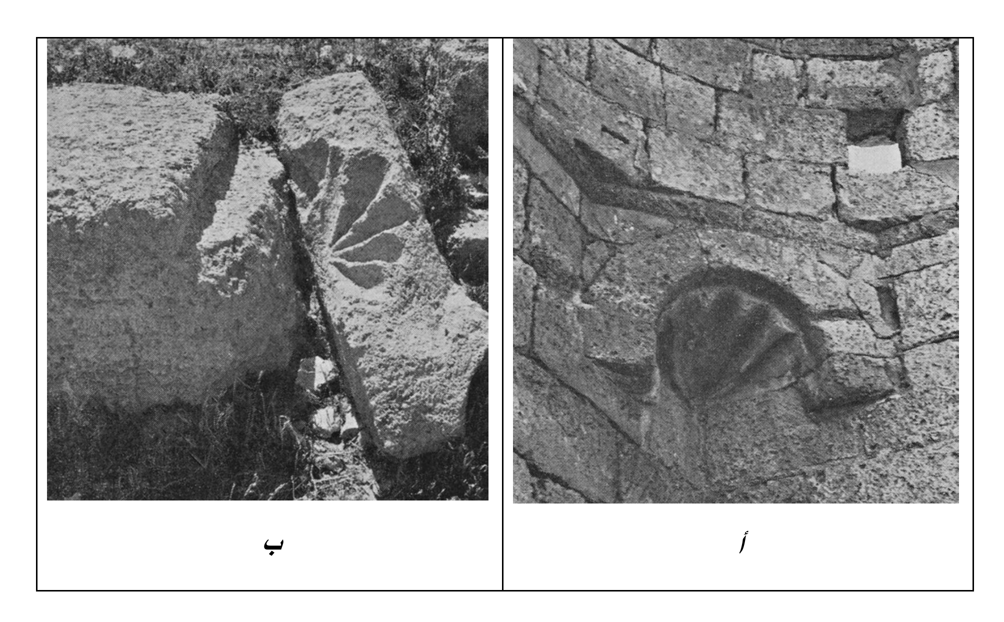


الشكل 8- عمل جصي مشكل من المسجد الفاطمي في سرت، أعيد استعماله في المحراب (عن عبد السيد 1966-1967).



الشكل 9- جزء من زخرفة جصية من المسجد الفاطمي في أجدابية (عن بليك، وهت، ووايت هاوس 1971).

الركنيتان المزخرفتان في نصف القبة للحجرة المركزية – في شكل صدفتين نصفيتين – أيضًا بالحنايا المنحوتة في واجهة رواق القبلة في مسجد أجدابية (الشكل 10 أ و ب). ولسنا في حاجة إلى القول بأن الصدفة البحرية معروفة بصفة عامة بوصفها عنصرًا زخرفيًا أساسيًا في العمارة الفاطمية منذ ظهورها في محراب مسجد المهدية الكبير (الشكل 10 ج) (محفوظ 1999، 133 وما بعدها؛ ليزين 1965، 65 وما بعدها).



ب	أ



ج

الشكل 10- زخرفة حنية صدفية الشكل من (أ) القصر المحصن، أجدابية؛ (ب) واجهة رواق القبلة في المسجد الفاطمي، أجدابية (عن بليك، وهت، ووايت هاوس 1971)؛ (ج) محراب المسجد الفاطمي في المهدية (عن ليزين 1965).

لم يعثر على أي أثر لنقش تذكاري أثناء حفائر وايت هاوس في القصر، ومن ناحية ثانية اكتشف نيكولا[7]س لوويكNicolas Lowick نقشين في حالة تشظي في متحف شحات وجدا في حفيرة أجريت في المنطقة المجاورة للقصر المحصن[8] في الخمسينات من القرن الماضي (لو ويك 1971–1972، 5)، يمكن قراءة أحدهما فقط، إنه يظهر الكلمات: "من ما أم [ر] ، منفذ بخط كوفي مورق على لوحة مكسورة من الحجر الجيري يبلغ ارتفاعها 33 سم، وسمكها 10 سم[9]

[7]الصواب أطلع نيكولاس على نقشين، وليس اكتشف! المترجم.

[8]يقول عبد الحميد عبد السيد الذي أشرف على عملية الكشف عن القصر إنه وجد هذا الجزء من النقش في القصر – ليس بجواره كما ذكر الكاتب - وقال إنه يشبه نقشًا عثر عليه في المرج (برقة القديمة) وهذا ما جعله يرجح تاريخ فاطمي للقصر، ومع الأسف لم يشر الكاتب إلى ذلك رغم ذكره بأنه نقل صورة النقش عن عبد الحميد عبد السيد! .Abduassaid. A., (1964), Ibid, 119 المترجم.

[9]لا أدري كيف عرف الكاتب ارتفاع وسمك الحجرة التي عليها النقش إذ لا يذكر عبد الحميد ذلك، ويقول نيكولاس بأن ارتفاع هذه الكتل الحجرية التي عليها النقوش يختلف من 33 إلى 54 سم، وثخانتها من 6 إلى 18 سم، ولا يحدد قياسًا خاصًا لأي منها. المترجم.

N. M. Lowick, 1971-1972, "Early Arabic Inscriptions in Libya", Libyan Studies, Third Annual Report, p.5.

(الشكل 11). ويحتمل أن النقش المتشظي هو جزء من حزام يعرض نقشًا يحمل اسم الراعي الذي بنى هذا القصر المحصن يمتد أعلى المدخل التذكاري، أو عند المدخل إلى "الوحدة الملكية". ويوحي شكل الحروف المائلة بزاوية قدرها 45 درجة المتطابقة مع حرف *الميم* في كلمة *من* بأن هذا الجزء من الحزام كان يزخرف في الأصل ركن جدار بارز أو نتوء.

ومن الناحية الأسلوبية فإن هذا النقش شديد الشبه بنقش متشظي (الشكل 12) اكتشف في مكان آخر في أجدابية، ربما جاء من المسجد، يظهر التاريخ 351 هـ (962 – 963 م)، وفيه تماثل في معالجة الحروف وفي نهاياتها الورقية. وزخرف الحزامان الضيقان المحيطان بالنص – في القصر – بحلقات محفورة، في حين تركت الحروف في النقش الآخر غير مزينة. ومن ناحية ثانية، وجدت نقوش متشظية أخرى محاطة بحلقات في المسجد، وتعد رسومها وصورها حاليًا جزءًا من أرشيف وايت هاوس. ويبدو أن أسلوب متميز من الخط الكوفي المورق المحاط بحزامين ضيقين مستمرين ازدهر في زخرفة صروح القرن العاشر الميلادي الليبية. وكما بين عبد السيد فإن أحزمة من نقوش على الحجر الرملي، والحجر الجيري مشابهة لتلك المكتشفة في أجدابية كانت ذات يوم تزخرف المئذنة ورواق القبلة في المسجد الفاطمي في سرت (الشكل 13) (عبد السيد 1966–1967، 158–159). واكتشف المستوطنون الإيطاليون سنة 1936 م في برقة (المرج الحالية) عدة ألواح حجرية منقوشة من النوع نفسه أثناء العمل في شق طريق جديدة في المحيط الشرقي للبلدة (عبد السيد 1971، 124). ولا بد أن هذه الألواح الحجرية المتشظية – حاليًا في متحف طلميثة – جاءت من بناء مهم يشترك في تشابهات عديدة مع القصر المحصن في أجدابية: أقيم خارج مستوطنة القرون الوسطى المحاطة بسور، كما تأكد من خلال سلسلة من خنادق مبدئية حفرت سنة 1958 م، وتظهر فناء مرصوف في وسطه بئر، وجدران جيدة البناء، وعقود (عبد السيد1971، 125).

ويمكن قراءة النقوش المتشظية التي وجدت في برقة (المرج) جزئيًا فقط، ولكن لها أهمية توثيقية استثنائية، أحدها له إطار من ثلاثة جوانب مزخرف بحزام الحلقات التقليدية الضيق، ويعرض ما يبدو أنه صيغة تكريسية مرادفة لنقش أجدابية: "أمر به..". ويستمر النص محتويًا على اسم

الراعي الذي تظهر لوحة ثانية جزءًا منه "تميم الم [عز]"[10]، أي الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله الذي تولى الخلافة بين 953/342 و 975/365 م (الشكل 14). وهناك دليل آخر على رعاية الخلافة لأعمال البناء في برقة نجده في زوج من الأعمدة المنقوشة أعيد استعمالها في محراب زاوية صغيرة، يظهرأن اسم ولقب الحاكم نفسه: *"مولانا الإمام المعز خليفة الله"(عبد السيد 1971، 122، 126، والصورة 57).*

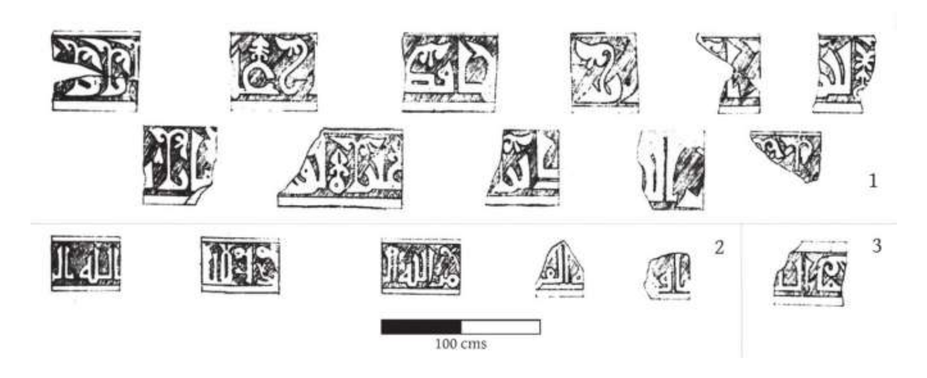


الشكل 11- نقش تأسيسي اكتشف بجوار القصر المحصن (عن عبد السيد 1964).

[10]تميم هو ابن المعز لدين الله الفاطمي، وهو المكلف بمهمة حفر الآبار، وبناء القصور على طول الطريق المؤدية إلى مصر كما يرى عثمان الكعاك استنادًا على ظهور اسمه في هذا النقش. عثمان الكعاك: مسلك القاهرة، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس-أبريل 1969، ج 2، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1971، ص. 824، وقد علمت ذلك عند اطلاعي على كتاب الطيب الفقيه احمد: المهدية عبر التاريخ، دار القلم، تونس (د ت)، ص ص. 102-103. المترجم.



الشكل 12– نقش تأسيسي وجد في أجدابية، ينتمي على الأرجح إلى المرحلة الثانية من تاريخ بناء المسجد الفاطمي، يظهر التاريخ 351 هـ [962 م] (عن لو ويك 1971–1972).



الشكل 13- نقوش كوفية كانت ذات يوم تزين مئذنة المسجد الفاطمي في سرت[11] (عن عبد السيد 1966-1967).

[11]وفقًا لعبد السيد فإن النوع الثاني من النقوش فقط وجد قرب المئذنة، ووجدت أغلب نقوش النوع الأول في الصحن، ووجد بعضها مستعملا في الجدران المتأخرة، ووجد نقش النوع الثالث قرب الباب الغربي. عبد السيد 1966-1967، 158. المترجم.



الشكل 14- نقش تأسيسي باسم الخليفة تميم المعز لدين الله[12]، اكتشف في محيط برقة (المرج القديمة) سنة 1936 (عن عبد السيد 1971).

الإطار التاريخي:

تأسيس أجدابية:

أسست بلدة أجدابية التي تعود إلى القرون الوسطى، وبدأت تنتعش بعد الغزو الإسلامي لشمال أفريقيا، ربما في بداية القرن الثامن الميلادي (فيهرافاري وآخرون 2002، 15).[13] ومن ناحية ثانية تؤكد عدة لقى أثرية (لاسيما نقوش لاتينية، وإغريقية، بعضها مؤرخ – انظر وايت هاوس 1972-1973، 13-14؛ فيري Ferri 1925-1926) أن المنطقة كانت تستوطنها حامية رومانية في القرن الأول الميلادي، ربما بهدف حماية آبار المياه المحلية وتشرف على حركة القوافل، ويظهر اسم هذا المخفر العسكري –كورنيكلانم – في خريطة بيوتنجر (قودتشايلد 1951، 15–16).

ويوجد أقدم ذكر للمستوطنة الإسلامية في كتاب البلدان لليعقوبي، ويقول هذا الجغرافي والمؤرخ الشهير (897/284) بأن أجدابية لها مسجد جامع، وحصون[14]، وأسواق في العهد الأغلبي (اليعقوبي 2002، 181).

[12] تميم هو ابن المعز لدين الله وليس هو الخليفة (أنظر هامش 11 اللاحق). المترجم.
[13] يفترض أن يكون العنوان انتعاش أجدابية، وليس كما ورد لدى الكاتب ففقد كانت بلدة قائمة بذاتها عند الفتح الإسلامي لها، وبدأت تنتعش بعد ذلك بفضل موقعها الاستراتيجي المهم حيث تلتقى عندها الطرق المتجهة إلى كل الجهات، وهو نفسه يذكر ذلك عند حديثه عن تاريخها في العصر الروماني. المترجم.
[14] يقول اليعقوبي: ومدينة أجدابية وهي مدينة عليها حصن وفيها مسجد جامع وأسواق قائمة...اليعقوبي: كتاب البلدان، مضمن مع المجلد السابع ن كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته، ليدن، 1891م، ص. 344. المترجم.

نشأت البلدة في إقليم شبه صحراوي في النهاية الشرقية لخليج السدرة، حوالي 20 كم عن الساحل، وعلى الرغم من قساوة الطقس، وفقر التربة يتوفر في المنطقة مورد عظيم الأهمية، إنه طبقة صخرية مائية محدودة العمق، ملحية لكنها قابلة للشرب، ويذكر الجغرافي الأندلسي البكري (ت 1094/487) – وهو مصدرنا الأساسي لوضع تصور عن أوضاع البلدة الفاطمية – هو الآخر نبع مياه عذبة، يقول في كتابه المسالك والممالك:

أجدابية هي مدينة كبيرة في صحراء، أرضها صفا وآبارها منقورة في الصفا طيبة الماء، وبها عين ماء عذب، ولها بساتين لطاف ونخل يسير، وليس بها من الأشجار إلا الأراك، وبها جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبيد الله، له صومعة مثمنة بديعة العمل، وحمامات وفنادق كثيرة وأسواق حافلة مقصودة، وأهلها ذوو يسار أكثرهم أقباط، وبها نبذ من صرحاء لواتة، ولها مرسى على البحر يعرف بالماحور، لها ثلاثة قصور بينه وبينها ثمانية عشر ميلا، وليس لمباني أجدابية سقوف خشب إنما هي أقباء طوب لكثرة رياحها ودوام هبوبها، وهي راخية الأسعار كثيرة التمر، يأتيها من مدينة / أوجلة أصناف التمور. (البكري 1911، 5–6).

من المهم التأكيد على أن رواية البكري تعتمد –كما يحدث دائمًا – على مصادر قديمة، وبالتالي يرجح أنها تعكس وضع أجدابية في القرن العاشر الميلادي. وفي الواقع فإن عباس حمداني حدد مصدر معلومات البكري الرئيس عن المستوطنات الليبية في القرون الوسطى بمواطن من القيروان يدعى مُحَمَّد بن يوسف ابن الوراق التاريخي الذي توفى سنة 973/362 (فهرفاري وآخرون، 2002، 14، ملاحظة 9).[15]

أصبحت أجدابية – بفضل توفر المياه العذبة – تؤدي وظيفتين مهمتين: محطة على الطريق الرئيس بين المغرب ومصر، وهي المحطة النهائية للطريق الصحراوي الذي يربط الساحل بواحات أوجلة، وجالو، والكفرة وأخيرًا السودان. وكانت أجدابية –كونها تقع عند مفترق طرق – المستوطنة الأكثر أهمية بين المدينتين الليبيتين الرئيستين في القرن العاشر الميلادي، برقة إلى الشرق

[15] ذكر عثمان الكعاك في عمله الذي شارك به في الندوة الدولية عن تاريخ القاهرة...، 2، 1971، ص. 788 (أنظر هامش 9)؛ وآخرين منهم حسين مؤنس في كتابه عن: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، 1986، ص ص.73-76 بأن محمد بن يوسف الوراق هو المصدر الذي نقل عنه البكري معلوماته التي دونها في كتابه المسالك والممالك قبل عباس حمداني. المترجم.

منها بعد رحلة ستة أيام، وطرابلس إلى الغرب منها بعد رحلة ستة عشر يومًا. وكانت بلدة سرت – تقع في منتصف المسافة تقريبًا بين أجدابية وطرابلس – المستوطنة الأخرى المهمة الوحيدة على الساحل الليبي، لها حاكم محلي، وتجارة قوافل، وميناء (البكري 1911، 17؛ وايت هاوس 1971–1972، 19).

العهد الفاطمي حتى غزو مصر:

سيطر جيش الخليفة الإمام عبيد الله المهدي على إقليم قورينائية إثر صعود الأسرة الفاطمية في أفريقية (909/296 –934/322). ويقول المؤرخ المغربي ابن عذارى المراكشي:جعل الحاكم الجديد في سنة 912/299 ثلاثة مدن ليبية بها مؤيدين للعباسيين – سرت، وأجدابية، وبرقة مثال[16] دون أية رحمة لمواطنيها (ابن عذارى 1980، 1، 170). ومن المحتمل أن أجدابية – في هذه المناسبة – اجتيحت ودمرت أبنيتها، بما في ذلك المسجد السابق على العهد الفاطمي الذي ذكره اليعقوبي. وفي الواقع من المعروف أن المهدي محى أسماء الخلفاء العباسيين وولاتهم الأغالبة[17] من كل صرح من صروح مملكته (بلوم Bloom 2007، 29).

قام أبو القاسم بن المهدي (893/280 – 946/334، وتولى الخلافة سنة 322/ 934)بثلاث محاولات لغزو مصر: بوصفه الوريث سنة 914/302، و 919/307 ، وبوصفه خليفة سنة 935/323 باللقب الملكي القائم بأمر الله. وكان نصيب كل محاولة من هذه المحاولات

[16]لم يرد في حديث ابن عذارى ذكر لكلمة "مثال"، والسنة التي يعطيها هي سنة 301 هـ وليس سنة 299 هـ التي يعطيها الكاتب، ويقول ابن عذارى بأن دخول الجيش الفاطمي بقيادة حباسة بن يوسف إلى سرت، وأجدابية كان "بالأمان" وهرب من كان فيها لبني العباس، ويضيف بأنه كلما دخل مدينة قتل أهلها، وأخذ أموالهم، وعاث فيها.. وهذا أمر مستغرب إذ من المتعارف عليه أن قبول السكان بسيطرة الجيش على مدينتهم من دون قتال يعني عدم التنكيل بهم وبممتلكاتهم، وربما عمم ابن عذارى هنا ما حصل في برقة من قتال ترتب عليه عقاب طال المدينة وسكانها من قبل حباسة قائد الجيش الفاطمي على مدينتي سرت وأجدابية اللتين دخلهما الجيش بالأمان، ويؤيد هذا الداعي إدريس عماد الدين القرشي الذي يقول: أخرج أمير المؤمنينحباسة بن يوسف الملوسي، وموسى عبد الرحمن الوادي يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخر سنة إحدى وثلاثمائة فملكاها وسارا إلى أجدابيةفملكاها، ولم يشر لا من بعيد ولا من قريب لمعاملة سيئة تجاه المدينتين وسكانهما. تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص. 1985. المترجم.

[17]من الواضح أن محو الأسماء لا يعني تدمير البناء الذي نقش عليه الاسم، يشهد على ذلك عدم تعرض جامع القيروان الكبير، وجوامع أخرى كثيرة في مدن أخرى وصلتها السيادة الفاطمية لأي ضرر من قبلهم. المترجم.

الفشل، ولكنها وفرت فرصة تثبيت السلطة الفاطمية على الجزء الشرقي من ليبيا، وعلى مدينة برقة الحدودية[18].

هُزم الجيش الفاطمي في الحملة المصرية الأولى سنة 914/302 في مكان ليس بعيدًا عن الفسطاط (عاصمة ولاة مصر الأخشيديين) وأجبر على العودة إلى أفريقية في السنة اللاحقة. ووفقًا للمؤرخ الإسماعيلي إدريس عماد الدين (ت 1392/794)[19] مؤلف العمل الموسوعي حول تاريخ الأسرة الفاطمية عبر الأمير أبو القاسم بجيشه أجدابية في 12 صفر 302 هـ (06-09-914 م) في طريقه إلى الإسكندرية،ويحتمل أنه أقام هناك مدة ثلاثة أسابيع فقد وصل برقة فقط يوم 30-09-914 م [لست خلون من شهر ربيع الأول 302هـ] (الدشراوي 1981، 145).[20]وتعززت حملته الثانية سنة 919/307 بأسطول، ولكنها واجهت المصير نفسه الذي واجهته الحملة السابقة. وأخيرًا شنت حملة ثالثة ضعيفة مباشرة بعد صعود القائم [بأمر الله] إلى العرش، وأجبر الخليفة بعد ذلك على توجيه جهود جيشه نحو المغرب، ونحو ثورات الإباضية في أفريقية، ومن المؤكد تخليه عن خططه تجاه الأقاليم الأخشيدية (الدشراوي 1981، 142، 150، 163-164).

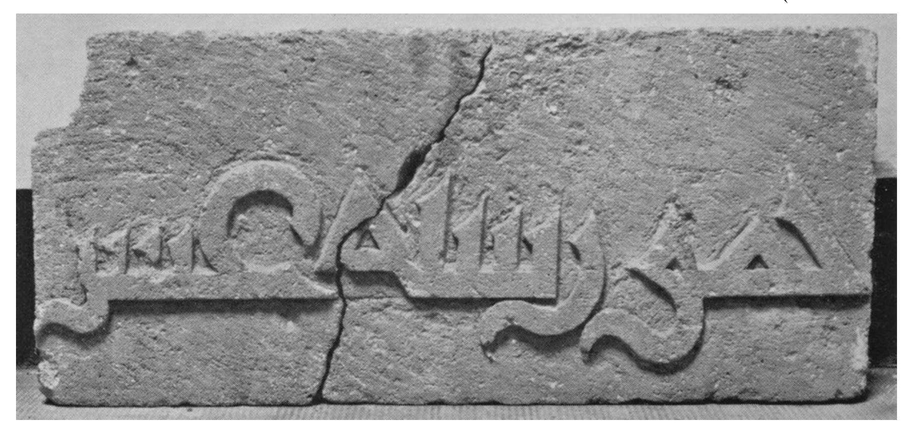
من المحتم على أبي القاسم اتباع الطريق الساحلي الممتد من طرابلس إلى الإسكندرية في كل مرة يتجه نحو مصر ويعود منها، وبالتالي المرور عبر أجدابية. وكان لبلدة أجدابية أهمية استراتيجية استثنائية بوصفها محطة في المنتصف بين مقر الخلافة الفاطمية في المهدية وطموحاتهم التوسعية نحو الشرق. ولا بد أنه قرر في إحدى زياراته العديدة إلى أجدابية إعادة بناء مسجد جامع –كما ذكر البكري – تاركًا بذلك في المدينة علامة قوية على الحكم الفاطمي، ووفقًا إلى مصادر

[18]لا أرى أن وصف مدينة برقة بأنها حدودية سليم فهي في قلب الجبل الأخضر بعيدة عن الحدود بما لا يقل عن 300 كم. المترجم.

[19]يقول محمد اليعلاوي محقق القسم الخاص بتاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب من كتاب عيون الأخبار أن تاريخ وفاة الداعية إدريس كان سنة 1488/872. المترجم.

[20]في الواقع حديث الداعية إدريس عماد الدين واضح كل الوضوح وهو يحدد يوم وصوله إلى أجدابية ويوم مغادرته لها ولم يمكث بها إلا ثلاثة أيام فقط ولم يتطرق إلى الأماكن التي أمضى فيها القائم بأمر الله الوقت قبل وصوله إلى برقة، يقول :.. ورحلالقائم بأمر الله من سرت ثالث صفر، فنزل أجدابية لاثنتي عشرة من صفر ورحل عنها الجمعة للنصف من شهر صفر، ودخل برقة لست خلون من شهر ربيع الأول...ودخل القائم الإسكندرية يوم الجمعة لأربع عشرة من شهر ربيع الآخر... تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب، ج 5 من كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار، حققها وأعدها للنشر فرحات الدشراوي، تونس، 1979، ص ص. 32-33؛ اليعلاوي: م. س، ص ص. 194-195. المترجم.

أخرى بنى الأمير نفسه أيضًا مسجدًا في طرابلس، قبل صعوده إلى العرش (وايت هاوس 1971–1972، 17).



الشكل 15– نقش تأسيسي من مرحلة بناء مسجد أجدابية الأولى يظهر التاريخ (3) 10، أو (3) 20 (عن لو ويك 1971-1972).

ويشير نقش في حالة تشظي وجد في أجدابيا (الشكل 15) إلى [ش] هور سنة عشر.، ويبدو أن أسلوب نقشه الكوفي البسيط يمثل أقدم مثال على النقش التذكاري العربي الذي وجد في أجدابيا، ولهذا السبب ينسب هذا النقش المتشظي فقط إلى القرن الثالث الهجري، ووفقًا لذلك تكون تكملته "[في ش] هور السنة العاشرة وثلاثمائة" أي سنة 922–923، وهو تاريخ تدعمه رواية البكري.[21]

ونحن نعرف أن بلدة أجدابية كان لها والي خاص بها معين من السلطة المركزية، ذكر ابن حوقل مهامه، وامتيازاته، وواجباته (كتب فيما بين 356/967 و 378/988):

[21] وحتى لو وضعنا في الحسبان إمكانية أن الحروف التي تكون كلمة "عشر" هي الحروف الأولى من كلمة عشرين، وبذلك تقرأ "سنة عشرين وثلاثمائة" (أي سنة 932-933 م) فإن ذلك يؤدي إلى اختلاف بسيط طالما – كما رأينا – أن زيارة أبو القاسم لأجدابية تكررت عدة مرات في العقود الثاني والثالث والرابع من القرن العاشر الميلادي. وتجدر الإشارة هنا أن بلوم Bloom (1985، 35، ملاحظة 39) قرأ، على نحو مدهش وعلى أساس أسلوب النقش فقط، النقش المتشظي على انه "سنة عشر و (أربعمائة)"، أي 1018-1019 م. ولم يدعم الدليل الوثائقي هذه الفرضية، ولها معنى تاريخي محدود، إذ يبدو أن أجدابية فقدت أهميتها في بداية القرن الحادي عشر الميلادي. المترجم.

...[22]وإليها مدينة أجدابية، على صحاح من حجر في مستواه، بناؤها بالطين والآجر وبعضها بالحجارة، ولها جامع نظيف، ويطيف بها من أحياء البربر خلق كثير، ولها زرع بالبخس وليس بها ولا ببرقة ماء جار، وبها نخل حسب كفايتهم وبمقدار حاجتهم، ووإليها القائم بما عليها من وجوه الأموال وصدقات بربرها وخراج زروعهم وتعشير خضرهم وبساتينهم هو أميرها، وصاحب صلاتها، وله من وراء ما يقبضه للسلطان لوازم على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان. وهي أيضًا قريبة من البحر المغربي فترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجارة. وأكثر ما يخرج منها الأكسية المقاربة وشُقّة الصوف القريبة الأمر وشرب أهلها من ماء السماء. (ابن حوقل 1964، 79–80)

وأخيرًا تمكن الفاطميون – في عهد المعز ابن أخ القائم [بأمر الله] من شن هجومهم النهائي على مصر التي أعد لغزوها عسكريًا ونفسيًا منذ فترة طويلة عن طريق دعاية سياسية ماهرة. أمر الخليفة سنة 965/354 ولاة برقة بحفر الآبار والصهاريج على طول الطريق المؤدي إلى مصر، وبناء قلعة في كل محطة، بعد الواحدة عن الأخرى حوالي ثلاثين ميلا[23] (المقريزي 2009، 58؛ ابن الخطيب 1964، 59). أيقن الخليفة أن خطوط الاتصالات كانت طويلة للغاية وضعيفة، وأن القوات في حاجة إلى الطعام، والماء، والبنى التحتية العسكرية لكي تتمكن من متابعة التقدم على نحو فعال على طول طريق الغزو.

---

[22]يبدأ الكاتب نقله لما ذكره ابن حوقل بالقول أن أجدابية هي مدينة مستقلة عن برقة، ولم أجد في حديث ابن حوقل مثل هذا القول. نقلت حديث ابن حوقل المبين أعلاه عن يوسف نجم، وإحسان عباس: ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات (صورة الأرض لابن حوقل)، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968، ص ص.20-21، وعن كتاب صورة الأرض لابن حوقل، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ص. 69-70. المترجم.

[23]راجعت كتاب اتعاظ الحنفاء في أخبار الأمة الفاطميين الخلفاء، للمقريزي،تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة دار النهضة، القاهرة، 1948، ص. 138، فوجدته يقول: ... وفي سنة خمسة وخمسين وثلاثمائة أمر [المعز] بحفر الآبار في طريق مصر، وأن يبنى له في كل منزلة قصر، ففعل ذلك؛ووجدت الكلام نفسه في صفحة 64 من كتاب المؤنس في أخبار أفريقية وتونس لابن أبي دينار، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، مع فارق بسيط وهو انه أحل كلمة "موضع" محل كلمة "منزلة"، ولم أجد فيه ما نسبه الكاتب له، فضلا على أن استعمال لفظ" ولاة برقة" لا يستقيم لأن مدن برقة، وأجدابية، وسرت مستقلة عن بعضها بعض ولكل منها حاكم مستقل؛ أما ابن الخطيب – المصدر الثاني الذي يعطيه الكاتب - فهو يقول:...وتوجه [المعز] إلى مصر في احتفال لم يسمع بمثله، بعد أن أمر باتخاذ قصر في كل ثلاثين ميلا ما بين داره بإفريقية وبين داره بمصر! ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد السالماني، تاريخ المغرب العربي في القرون الوسطى: القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام للوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق وتعليق د أحمد مختار العبادي، والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964، ص. 59، المترجم.

غزو مصر والتطور الإقليمي لقورينائية (الجزء الشرقي من ليبيا)

انحدرت مصر إلى حالة عميقة من عدم الاستقرار السياسي عقب موت الأمير الأخشيدي الأخير سنة 968/357: وكان الوقت مناسبًا لاغتنام الفرصة من قبل الفاطميين، فقاد الجنرال الصقلي [الصقلبي] جوهر الجيش الفاطمي إلى أرض المعركة، وسيطر في يونيه من السنة اللاحقة على دلتا النيل، والفسطاط وأسس هناك العاصمة السياسية القاهرة لسيده، وحان الوقت للمعز ليستلم عاصمته الجديدة، تاركًا أفريقية ومناطق نفوذه الغربية في يدي نائب محلي، بلكين بن زيري ثم بدأ رحلاًته في اتجاه مصر يوم الخميس الثالث من ذي الحجة 361 هـ (15–09–972) على رأس موكب رسمي هائل مر عبر مدن شمال أفريقية الرئيسة، مصطحبًا معه أثاث قصره، وخزائن أمواله، وتوابيت تحتوي على رفات أسلافه المبجلين – المهدي، والقائم [بأمر الله]، ووالده المنصور – لكي يدفنوا في مقبرة في مقر حكم الأسرة الجديد، وأخير وصل الخليفة وحاشيته القاهرة في يونيه 973/362.

ويعود الفضل للمؤرخ ابن الأثير (ت 1233/630) الذي عرفنا عن طريقه أن موكب الخليفة توقف في أجدابية في طريقه؛ وهنا توفى الأمير يوسف – أخ كبير للمنصور – وفاة طبيعية (هالمHalm 1996، 419). كذلك كانت أجدابية هي المكان الذي رأى فيه [الأستاذ] جوذر المخصي القوي – محل ثقة الخلفاء الفاطميين الأربعة الأوائل – المعز للمرة الأخيرة قبل موته في برقة.وورد في سيرة [الأستاذ] جوذر – جمعها خادمه الجوذري بعد موته بفترة قصيرة – أن الخليفة شرفه بقدومه ماشيًا على قدميه إلى البغل الذي كان يحمل الهودج الذي يأوي الرجل العجوز في سفره معانقًا له عناق الأخوة (الجوذري 2012، 160 وما بعدها).

لم يُضمن إقليما طرابلس وبرقة[24] في الإقليم الواقع تحت سيطرة بني زيري عقب الغزو الفاطمي لمصر؛ وبدلا من ذلك أحتفظ بهما تحت إدارة الخلافة المركزية، ومع ذلك يبدو أن اسم أجدابية بدأ يختفي من الروايات الأخيرة، ربما بسبب فقدها لأهميتها من منظور استراتيجية السياسة الفاطمية التي صارت الآن مركزة على الشرق الأوسط والعراق. وأخيرًا انتقلت السيادة على طرابلس، وسرت، وأجدابية في بداية القرن الحادي عشر الميلادي إلى الزيريين، وهذه تعد خطوة مهمة نحو انفصالها التدريجي عن الفاطميين. وأخيرًا حينما أرسل الخليفة المستنصر [بالله] سنة

[24] وسرت، وأجدابية أيضًا. المترجم.

1051/443 بني هلال إلى شمال أفريقية لمعاقبة الزيريين على تخليهم عن المذهب الشيعي، وإلغاء ولائهم للخلفاء الأمة، دخلت أجدابية عصر الانحدار الذي من المتعذر تحاشيه. ومن ناحية ثانية – كما أشار عباس حمداني – فإن الإفقار التام لبرقة وإقليم سرت يجب عزوه للصراع الفاطمي الزيري الذي تطاول من 1001/391 إلى سنة 1051/443 (حمداني 1970، 336)، وصارت ليبيا خلال هذه الفترة نطاقًا عازلا غير مستقر، وتحولت سهولها الساحلية إلى أرض معارك دائمة (فهرفاري وآخرون 2002، 23).

يتأسف الجغرافي الإدريسي – كتب سنة 1154/549 على الحالة المزرية التي وصلت إليها كل من أجدابية وسرت، وأدت إلى تناقص سكانهما، ويقول بأن أجدابية كانت "في الأزمنة القديمة محاطة بسور، ولم يبق فيها الآن إلا حصنين باقيين في صحراء" (الإدريسي 2000، 129). ومن المرجح كثيرًا أن سكان المدينة المستقرين كلهم انتهوا في القرن الثاني عشر الميلادي، حينما هجرت أبنيتها، وصار التردد على آبارها يتم فقط من قبل البدو والمسافرين. ويصف الحجاج المسلمين العديدون الذين مروا بأجدابية في طريقهم إلى مكة [المكرمة] بداية من القرن الثالث عشر الميلادي – مثل العبدري (1968، 236)، والعياشي، والورثلاني (1974، 219 وما بعدها) – بأنها بلدة حل بها الخراب منذ فترة طويلة، من دون أي غطاء نباتي في الجوار، وليس بها إلا آثار قليلة ترى، ولكنها مهجورة تعبر عن ماضيها المزدهر (عبد الوهاب 1960، 207).

القصر: مقصورة الخليفة المعز:

تاريخ الأبنية وتفسيرها:

أدى تفحص المصادر الأدبية لمعرفة تاريخ أجدابيا إلى بقاء قليل من الشك في أن ما بقي من حصنها يعود إلى بداية العهد الفاطمي، حينما وصلت أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية إلى ذروتها، وكان موقعها – علنحو متكرر – محطة استراحة للقادة العسكريين، والأمراء، والخلفاء. ومن المؤكد أن البناء أقيم فيما بين سنة 912/299 وهي السنة التي حدثت فيها الحملة التأديبية، وسنة 1051/443 التي حددت بداية الغزوات الهلالية. وتعد إمكانية أن يكون البناء أحد الحصون السابقة على العهد الفاطمي التي ذكرها اليعقوبي ضعيفة للغاية، وحتى لو افترض هذا فإن الدليل الأثري يقول بأنه خضع لإعادة بناء كاملة في القرن العاشر الميلادي، تقارن بإعادة بناء المسجد الجامع سنة 922/310 – 923 (أو سنة 932/320–933 م). ومن ناحية أخرى يعد من

المجازفة عزو بناء متقن الإنشاء مثله إلى الفترة بين سنة 973/362 وسنة 1051/443 آخذين في الحسبان فقدان أجدابية لأهميتها ولاستقرارها السياسي الذين تعرضت لهما بعد الانتقال الفاطمي إلى مصر، وهناك عدة ملامح في القصر تشير هي الأخرى إلى القرن العاشر الميلادي.

أولا وقبل كل شيء لدينا المدخل التذكاري الذي يذكر بالبوابة الرئيسة للمسجد الفاطمي في المهدية (بلوم 2007، 22 وما بعدها؛ ليزين 1965)، وكذلك مدخل رباط سوسة ومدخل رباط المنستير (يعودان إلى الربع الأخير من القرن الثامن الهجري – انظر ليزين 1965). وهناك مثال ليبي آخر على مدخل بارز يوجد في قصر الحمام، وهو بناء زراعي روماني له تاريخ طويل من إعادة البناء والإصلاح ويقع بين سرت وطرابلس[25] (وايت هاوس 1971–1972، 19). يظهر البناء المربع عند المدخل إلى القصر نقش تكريسي يحمل التاريخ 473 هـ (1080–1081 م)، وتشهد بساطة النقش الواضحة – في الواقع لا يتجاوز المستوى مستوى الخربشة إلا بقليل – على انحدار مستوى النقوش التكريسية في ليبيا أثناء القرن الحادي عشر الميلادي لا سيما إذا ما قورنت بالنقوش الرفيعة المستوى– جميعها من نوع النقش البارز – المكتشفة في أجدابية، وسرت، وبرقة (انظر عبدولي 2013 وقائمة مصادره ومراجعه).

ثانيًا تظهر مداخل منكسرة متقنة البناء مثل مدخلأجدابية في أبنية محصنة أخرى لها التاريخ نفسه، وكلها مكتشفة في أفريقية[26]: من القلعة الأغلبية الأخيرة في رقادة (الشابي 1968) إلى القصر الذي بناه أبو القاسم في المهدية في العشرينات من القرن الرابع الهجري / الثلاثينات من القرن العاشر الميلادي (مارسيه 1954، 78–79؛ المودود 1991؛ لويشيLouichi 1991؛ بلوم 1985، 22)؛ ومن قصر البحر في قلعة بني حماد في الجزائر (بداية القرن الحادي عشر الميلادي – انظر بوريبا 1975، 40)، إلى القصر الأقدم قليلا لبني زيري في أشير (قولفنGplvin 1966، 67–68؛ بلوم 1985، 22).

[25]يقع هذا القصر في منطقة رأس الحمام جنوب مدينة لبدة بحوالي خمسة كيلومترات حيث توجد عدة محاجر؛ D. E. L.Haynes, An archaeological and historical guide to the pre-Islamic antiquities of Tripolitania, The Department of Antiquities, Tripoli, 1981, p. 72. المترجم

[26]تعني أفريقية هنا تقريبًا المنطقة التي كانت تسمى في المصادر الغربية "المغرب الأدنى" في العصور الوسطى، أي شرق الجزائر، وتونس والجزء الغربي من ليبيا، وهي التي كانت تسمى في العصر الروماني "أفريقية الرومانية". المترجم.

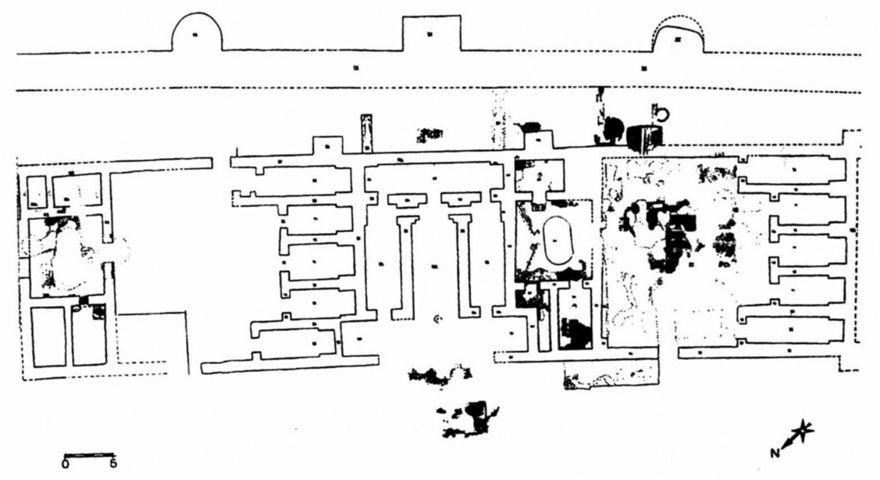
ومن ناحية ثانية فإن المفتاح الحاسم لمعرفة تاريخ القصر المحصن يكمن في زخرفته، إذ من المؤكد تقريبًا – كما لوحظ سابقًا – أن تشكيل جصه ونحته تم على أيدي المهنيين أنفسهم الذين زخرفوا المسجدين الجامعيين في أجدابية وسرت. ولا بد أن النقش الكوفي المورق الذي يُظهر السنة 963–962/351 في مسجد أجدابية[27](الشكل 12) تم نصبه أثناء أعمال التجديد التي خضع لها المسجد في عهد المعز حينما دُعمت الأعمدة المزدوجة في مجاز المحراب، وأعيد تسقيف رواق القبلة، وأضيفت الزخرفة الجصية (وايت هاوس 1972–1973، 24). وتم اختيار أسلوب النقش نفسه هنا، وفي القصر، وكذلك في مسجد سرت، وفي البناء الغامض الذي ما يزال مختفيًا في الأطراف الخارجية من مدينة برقة الذي بناه المعز أيضًا. من المؤكد أن هذه السلسلة من الإنشاءات والتجديدات تمت تحت رعاية الخليفة الرابع مباشرة قبل غزو جوهر لمصر في إطار الدعاية السياسية والاستعداد لرحيل الأسرة الفاطمية سنة 973/362 إلى مصر. ولكن ماذا كانت وظيفة القصر المحصن في أجدابية بالتحديد؟

يمكن تقسيم مخطط البناء (الشكل 2) على نحو مناسب إلى ثلاث وحدات وظيفية: 1) المدخل التذكاري، كبير على نحو غير متناسب ويعرض إحساسًا بالفخامة الرسمية، وهو يشغل حوالي 20% من المساحة الكلية؛ 2) البيوت المظلمة والأبراج في الجانبين الطوليين التي يزعم أنها وظفت لتكون حجرات تخزين، ومقرات، وأحياء سكنية للجنود وأسلحتهم، وهي تشغل حوالي 45% من المساحة الكلية؛ 3) "الوحدة الملكية" المحورية الشكل التي يحتمل أنها غرفة عرش قبوية الشكل، أو قاعة استقبال، قائمة بذاتها، ومزخرفة على نحو مناسب، وهي تشغل مساحتها ال 30% الباقية من البناء. لم يكن القصر حصنًا عسكريًا بسيطًا، وليس خانًا بالنظر إلى أن أكثر من نصف مساحته تؤدي هدفًا رمزيًا أكثر منه هدفًا وظيفيًا، ولكنه قصر مهيب بني لشخصية مهمة رفيعة المستوى كانت تعقد جلساتها تحت قبته، وتقيم حاشيته في القاعات المجاورة، وتشغل قواته الأبراج والسقف. ولذلك سيكون موضع شك النظر إليه ببساطة على أنه أحد القلاع التي أقامها المعز على طول الطريق الساحلي لتيسير حملة جوهر العسكرية، كما ذكر المقريزي، وابن الخطيب.[28]وإذا أقيم بناء

[27]اكتشف النقش في أجدابية لكن المكان الذي ُكتشف فيه مجهول. المترجم.

[28]كما رأينا في هامش 23 يفيد حديث المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا....، وحديث ابن الخطيب في كتابه إعلام الأعلام... بأن القصور التي أمر المعز بإقامتها على طول طريق رحلته إلى مصر هي له ليستريح فيها أثناء سفره، وليس لقائد جيشه جوهر، وذلك واضح من خلال جملة: ...وأن يبنى له في كل منزله قصر في كتاب

مشابه في أي يوم من الأيام في أجدابية أو بالقرب منها حوالي سنة 965/354 فإن ذلك ربما يتفق مع قصر من القصور الثلاثة التي شاهدها[29] البكري، أو أحد القصرين الذين ذكرهما الإدريسي؛ ومن ناحية ثانية لا بد أن آثاره ترقد في مكان آخر ما.



الشكل 16- مخطط القصر الجنوبي الشرقي في المنصورية (عن تيراس 1977).

وتأكدت سمة القصر الملكية عن طريق النظام التراتبي للوحدات الوظيفية الثلاثة، حاملة إحساسًا قويًا بتوجه محوري نحو الحجرات القبوية في النهاية المقابلة من البناء بعد الفناء. وقد وجد هذا التقسيم للحيز الفراغي في السابق في العمارة الملكية الأموية والعباسية، وتبناه الأمراء الأغالبة في قصرهم المعروف بقصر الصحن في رقادة الذي استولي عليه فيما بعد، وجدد، واستعمل مقرًا سكنيًا للمهدي الخليفة الفاطمي الأول فيما بين سنة 909/296 وسنة 921/309 (الشابي 1968). وبرزت في أجدابية التراتبية المنظورة نفسها من الوحدة المؤلفة من ثلاث حجرات، تفتح الوسطى منها التي تنتهي بحنية على قاعة مستعرضة يليها فناء، بينما يتم الدخول إلى الحجرتين الجانبيتين عبر مدخلين صغيرين مقابلين للمدخلين الجانبيين للقاعة المستعرضة. ربط ليزين (1971) هذا العنصر العماري بقصر الأخيضر الذي يعود إلى بداية العصر العباسي (158/ 775) وبمشروع

اتعاظ الحنفا، وجملة: بعد أن أمر باتخاذ قصر في كل ثلاثين ميلا ما بين داره بأفريقية وبي ن داره بمصر. المترجم.

[29] البكري جغرافي وليس رحالة، وبالتالي فهو لم يشاهدها، والصياغة المناسبة: التي ذكرها البكري. المترجم.

المتوكل البنائي في سامراء (847/322 – 861/247). ومن ناحية ثانية هناك مثال أقرب جغرافيًا وزمنيًا لقصر أجدابية هو قاعة الاستقبال في القصر الجنوبي الشرقي في المنصورية (الشكل 16)، وهي المدينة الملكية المستديرة التي بدأ بناؤها الخليفة الفاطمي الثالث [المنصور] قرب القيروان، وأكملها المعز في الأربعينات من القرن الرابع الهجري / الخمسينات من القرن العاشر الميلادي (زبيس 1956؛ تيراسTerrasse 1977، 593). إن التشابه بين القصرين مدهش فعلا – رغم أن مخطط قصر المنصورية أكثر تفصيلا على نحو مفهوم– ومن المغري رؤية انعكاس التوجه نفسه نحو ترتيبات رسمية في كلا الموقعين.

وظيفة القصر:

والآن هل كان قصرنا المحصن مسكن الحاكم المحلي الذي "كان يفضل الإقامة خارج أسوار أجدابية، محاطًا بحراسه الشخصيين، وأتباعه فقط" (عبد السيد 1964، 119)؟ وكما ناقش ذلك وايت هاوس على نحو مقنع فإن هذا يعد افتراضًا خطأ، إذ من المؤكد أن البناء غير مناسب ليكون سكنًا دائمًا (وايت هاوس 1971–1972، 20–21). ويمكن – في الواقع – تحديد القصر بدقة على أنه مقصورة محصنة تفتقر إلى شقق خاصة، قصد بها استعمال رسمي مؤقت. إن ما أود اقتراحه – بالتوافق مع وايت هاوس – هو أن هذه المقصورة بناها المعز لتكون استراحة ملكية على طول طريق انتصاره من أفريقية إلى مصر، فيما بين سنة 969/358 وسنة 972/361 (وايت هاوس 1971–1972، 20–21؛ كذلك انظر بلوم 2007، 65). وهنا تلقى المعز المبايعة من الزعماء المحليين والولاء من سادة المناطق الداخلية الصحراوية في محيط عماري مهيب، أقيم خارج المدينة المسورة لكي يبقي نفسه بمعزل عن سكان أجدابية.[30]

كذلك من المرجح أن قصر أجدابية المحصن كان واحدًا من سلسلة من المقاصير الخليفية بنيت في فترة زمنية قصيرة على طول الساحل الليبي. وهناك قصر آخر – على سبيل المثال –كان يقع خارج مدينة برقة، يرجح أنه شغل المكان الذي اكتشفت فيه الحجارة المنقوشة التي تحمل اسم

---

[30]يشير وايت هاوس (1971-1972، 21) إلى كاتب القرن الرابع عشر الميلادي التيجاني، ويزعم أنه كتب بأن الخليفة الفاطمي الرابع أمر ببناء سلسلة من القصور على طول طريق رحلته إلى القاهرة، ومن ناحية ثانية لم أتمكن من وجود هذه المعلومة في أي عمل من أعمال التيجاني المنشورة.
اتفق مع الكاتب في أن التيجاني لم يذكر ذلك، وبينته في عمل سابق: هامش 1 صفحة 113، دراسات في آثار ليبيا الإسلامية، جامعة قاريونس، بنغازي، 2009.المترجم.

المعز[31] سنة 1936 م (الشكل 14).والشكر موصول إلى سيرة الأستاذ جوذر – سبق ذكرها – التي عرفنا منها أن هذا القصر شغل منطقة حدودية تسمى "مياسر" وكان يضم مسجدًا صغيرًا حيث دفن المخصي[32] أثناء تأبين رسمي أشرف عليه الإمام الخليفة نفسه (الجوذري 2012، 165). وهنا مكث المعز حوالي ستة أسابيع في ربيع سنة 972/362 قبل مواصلة الرحلة إلى الإسكندرية (برت Brett 2001، 318، 324-325؛ هالم Halm 1996، 419).

تعرض بعض الدارسين إلى أن الخليفة المنتقل أقام في خيمة كبيرة أو سرادق في أجدابية، واستعمل القصر المحصن وقاعة استقباله فقط لأغراض رسمية (بلوم 2007، 65؛ برت 2001، 324–325) وهذا ربما حدث فعلا، آخذين في الحسبان السمة غير السكنية للمبنى، ولكن يمكن تصديق أيضًا أن الحاكم أقام في "الوحدة الملكية نفسها" وتناول وجباته فيها حيث كان يستقبل ضيوفه. وتعطينا المصادر – مرة أخرى – مفاتيح مهمة لإزالة الغموض.

أخطأ ماريوس كانارد Marius Canard **في ترجمة الفقرة الواردة في سيرة الأستاذ جوذر المتعلقة بالوقائع التي حدثت أثناء استراحة الخليفة في أجدابية، ربما بسبب بعض الغموض في المخطوط الأصلي. تقول الترجمة الفرنسية: "... وأشار إلى القبة التي كان يتغذى فيها بالفازة المباركة" (الجوذري 1958، 220). تم التطرق – من ناحية ثانية – إلى هذه الرواية جزئيًا في طبعة إنجليزية جديدة للرسالة [للسيرة] الجوذرية تقول: "وأراني القبة التي كان يتناول فيها وجبته" (وأشار إلى القبة التي كان يتغذى فيها بالفازة المباركة) (الجوذري 2012، 161). أرى أن مصطلح القبة[33] يشير إلى**

---

[31]يعطي النقش اسم تميم وهو ابن الخليفة المعز الذي أشرف على بناء القصور، وحفر الآبار والصهاريج على طول الطريق إلى مصر، كما بين ذلك عثمان الكعاك، ونتفق معه في ذلك، يراجع هامش 8 في هذا العمل.أما المكان المتوقع لقصر المعز في برقة فهو يقع شمال شرق المدينة القديمة بحوالي كيلومتر واحد بجوار البوابة الأمنية الحالية الموجودة على الطريق المتجهة نحو البيضاء حيث يسمى الموقع "المعزية"، ولا يذكر كبار السن من السكان وجود أي بناء في الموقع، ويحتمل أن إزالته تمت منذ فترة طويلة من الزمن، ولا يوجد في الموقع إلا بئر مياه عذبة عميقة جدًا مبطنة جوانبها بحجارة منسقة الترتيب، وأرجو أن تقام حفائر في الموقع علها تسفر عن اكتشافات مهمة عن مخطط القصر وعن محتوياته. مع الشكر الجزيل للأستاذ محمد عطية الله الشلماني الذي زودني بهذه المعلومات المهمة. المترجم.

[32]لا أدري ما هو سبب إصرار الكاتب على ذكر أن الأستاذ جوذر كان مخصيًا فقد ذكر ذلك في الصفحة التي تتحدث عن غزو المعز لمصر، ولا أظن بوجود أي فائدة للقارئ في تذكيره بأن جوذر كذلك، وبإمكان الكاتب أن يفرد موضوع خاص حول ذلك يبين فيه كل التفاصيل المتعلقة بموضوع العبيد ومواصفاتهم يطلع عليه المهتم. المترجم.

[33]تعني القبة أيضًا خيمةمستديرة القمة يصنع – بعض منها على الأقل - من جلود الإبل،فقد ذكر د محمد الجويلي في مقال له يحمل عنوان: "الخيمة ملجأ الذاكرة العربية مهددة بالاندثار" ونشر في صحيفة العرب اللندنية، الاثنين 14-05-2015، السنة 38، العدد 10038، ص. 12، يذكر فيه كاتبه أن المستشرق االدنماركيفايليبارغ

الحجرة المحورية في القصر المحصن التي تنتهي بنصف قبة التي ربما أدت حينها أيضًا وظيفة سكن خاص للخليفة، ولو لأسابيع قليلة فقط.

وفيما يتعلق بمصطلح "فازة" فإن المترجم الإنجليزي ما يزال يترجمها "خيمة" على الرغم من معناها الأوسع كثيرًا الذي يعني "مأوى"، وهذا تأكد بحقيقة أن مؤرخ القرن الرابع عشر الميلادي عماد الدين الذي ينقل فقرة الرسالة نفسها، وظف كلمة "مفازة" بمعنى "مكانًا أمنًا"[34] (عماد الدين 1984، ملاحظة 249). ويشير معجم إدوارد لين Edward Lane أيضًا إلى فازة على أنها مرادفة لكلمة مظلة (لين 1877، VI، 2458)، وهو المصطلح الذي استعملته مصادر القرون الوسطى تعريفًا للمظلة الرسمية للخلفاء الفاطميين (هالم 1996، 352)، وهي إحدى شعارات الخلافة التي ربما استعملها المعز داخل قصر أجدابية المحصن وأثناء رحلته. وبالتالي فإن مصطلح فازة / مفازة[35] يعني في الوقت نفسه القصر نفسه، أو مظلة منصوبة على قائمين كان يجلس تحتها على كرسي العرش في قاعة قصره المنحنية النهاية[36].

الذي أعد دراسة قيمة تحمل عنوان "الخيمة السوداء" نشرت في كوبنهاجن عن دار كوميسون هاوس، 1944 م، قال بأن هناك نوع من الخيام تصنع من جلد الإبل عند العرب تسمى قبة)، وتقول معاجم اللغة العربية بأن أحد معاني "القبة" هو خيمة صغيرة أعلاها مستدير. المترجم.

[34] لا أدري كيف فهم الكاتب أن الداعية إدريس عماد الدين وظف كلمة "مفازة" بمعنى مكانًا أمنًا فهو يقول: وأشار إلى القبة التي كان يتغذى فيها بالفازة المباركة ثم قال: "وقف به وهو في العمارية ولا تنزله [منها])! أولا الكلمة التي استعملها عماد الدين هي فازة وليست مفازة التي يوردها الكاتب، وهناك فرق كبير في المعنى إذ تعني فازة خيمة تقام على عمود أو عمودين، ومفازة تعني فلاة أو صحراء، وكما هو واضح لا يوجد في كلام عماد الدين ما يوحي بالمكان الأمن. المترجم.

[35] مفازة تعني صحراء. المترجم.

[36] يحتاج فهم النصوص فهمًا جيدًا إلى إتقان اللغة المكتوبة بها تلك النصوص، ومع الاعتراف بأن النص الذي أورده كاتب سيرة الأستاذ جوذر المتعلق بما جرى للأستاذ في أجدابية حينما رغب في مقابلة الخليفة المعز به شيء من الغموض، إلا أن القراءة المتأنية تبين أن القبة والفازة تخص الأمير عبد الله ولا صلة البتة لهما بالخليفة المعز الذي كان مقيمًا في قصره حينما اتصل به الأمير عبد الله يبلغه رغبة الأستاذ جوذر رؤية وجهه الكريم، وأرى من المفيد إيراد النص الذي ورد في سيرة الأستاذ جوذر بالخصوص كاملا: "...ولما وصل إلى موضع يعرف بأجدابية... قال لي: "لقد اشتقت إلى النظر إلى وجه مولانا...وأراني ضعيفًا ولا أقدر أثبت على قدمي لترهل عرض لي فيهما" فسألته التقدم قبله والاجتماع بالأمير عبد الله ولي عهد المسلمين في ذلك فأذن لي، فمضيت واجتمعت به [بالأمير عبد الله] ووصفت حاله وعظيم شوقه إلى مولانا وإليه، فعرّف مولانا [عرّف الأمير عبد الله والده الخليفة المعز برغبة جوذر] ورجع أليّ بالجواب وقال لي: "يأمرك مولانا أن تقدم به إلى هذا الموضع" وأشار إلى القبة التي كان يتغذى فيها بالفازة المباركة [الخيمة التي كان الأمير عبد الله يتغذى فيها ويرجح أنها كانت في البراح الكائن أمام واجهة القصر] ثم قال: "وقف به وهو في العمارية [الهودج] ولا تنزله [منها]"! وحذرني من إنزاله ...فرجعت إلى الأستاذ وعرّفته بما كان، ففرح بذلك، وقويت نفسه ثم وصلت به إلى الموضع الذي رسم فلما حل به قال لي: "أنزلني" فاعتذرت إليه أن الموضع الذي يريده ذو غلق [مقفل] وسبيلنا أن نقف بالعمارية حتى يفتح الموضع، فقبل ذلك مني، ووقفت العمارية على بغلة وهو

إن المعز بتجديده لجامعي سرت وأجدابية، وبناء قصرين خارج أجدابية وبرقة منح إقليمًا من الواضح أنه شبه صحراوي هامشيًا بعضًا من أروع الإنجازات العمارية في بداية العهد الفاطمي، هذا الإقليم الذي لعب – في عقود قليلة – دورًا حاسمًا في تحقيق طموحاته السياسية. ونتيجة لذلك بين الخليفة بوضوح تام إمكانية تمديد حدود الرعاية الملكية إلى أبعد كثيرًا من صروح مدن العواصم مثل المهدية، ورقادة، والمنصورية – إلى حيثما تدفع بهم عقيدة السلطة الفاطمية. وهذه حقيقة مشجعة للآثاريين، وتوحي باحتمالية اكتشافات مهمة جديدة في مناطق كانت مهملة في السابق. وهناك في سرت – مثلا – رابية خارج أسوار المدينة – ما يسمى بالحصن الشمالي – لم ينقب فيها بعد ربما تتضمن خرائب قصر آخر بناه المعز استراحة له أثناء انتقاله إلى مصر. ويحتمل أن هذا هو السبب الذي جعل فيزافهرفاري، يختم تقريره النهائي عن حفائر سرت، بإشارة يُذكر فيها بملامح معينة تعيد إلى الأذهان قصر أجدابية المحصن: "منطقة مهمة أخرى تستحق الاهتمام هي الحصن الشمالي حيث ترى عدة جدران وكذلك الحدود الخارجية لبرج مستدير" (فهرفاري وآخرون. 2002، 115).

جالس فيها، فما شعرنا بشيء حتى خرج مولانا المعز لدين الله... فأدخل نفسه في جوف العمارية وضمه إلى نفسه ضم الأخ لأخيه والصديق للصديق. (عماد الدين، 720). وهناك نص آخر مهم جدًا يؤكد ما سبق قوله بخصوص إقامة المعز في قصره في أجدابية، وهي رسالة بعث بها الأمير عبد الله إلى جوذر ردًا على رسالة له بعثها إلى الخليفة المعز حينما وصل قصره في برقة تتضمن جواب الخليفة، تقول الرسالة: ... فاعمل قال لك...على الوصول إلى الحضرة المباركة أي يوم يتهيأ لك وأردت الوصول فيه، ويكون وصولك إلى باب القصر المبارك في عماريتك على رسم ما فعلته في أجدابية ... فخروجنا إليك، قال لك – في أجدابية– ليس أنت كلفتاه فتأخذ فيه على نفسك أمرًا، بل نحن فعلناه من ذات أنفسنا رغبة في افتقادك ومشاهدة حالك." (عماد الدين، 723). كذلك تراجع - بالخصوص - الصفحات 143، 145-146، سيرة الأستاذ جوذر: تصنيف أبي علي منصور العزيزيالجوذري، تحقيق د محمد كامل حسين، ود محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954. المترجم.